الميثاق الوطني حول تدمير اسرائيل والكفاح المسلّح، كخيار ضروري، أصبح متقادماً.

الوعي القومي ومسيرة العمل الفلسطيني

تناولت وثائق وكتابات مختلف الفصائل الفلسطينية، في تأكيدها على الوطنية الفلسطينية، محاولات عديدة للتمييز بين القطرية المرادفة للاقليمية كواقع يميّز الاقليميات العربية بتأثير واقع التجزئة وبفعل المصالح القائمة على، أو المنبثقة من، هذا الواقع، وبين وضعية الشعب الفلسطيني الذي يفتقر الى الارض والمجتمع، كجسد مادي تستمد منه المصالح القطرية الاقليمية. وعلى حدّ قول منير شفيق فـ «ان واقع الجماهير الفلسطينية واقع غير قطري، بدليل ان الجماهير الفلسطينية، بغالبيتها، وبشكل خاص الفاعلة في الثورة الفلسطينية، لا توجد في قطر عربي واحد، وحتى قطرها العربي فقد منها، وهي موزّعة بين مختلف الاقطار العربية، وبالتالي لا يمكن ان تتحرك الاّ ضمن مختلف هذه الاقطار، وبالتالي ان تلتحم مع الجماهير العربية في كل قطر، سواء أرادت [ذلك] أم لم ترد»(٢٣).

غير ان «فتح» حدّدت نطاق المواجهة العربية مع الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، حيث أكدت ان الثورة الفلسطينية هي «نقطة الالتحام العربي مع العدو الصهيوني؛ وهي، بذلك، قد بدأت عملية التفاعل في المجتمع العربي بفعل ما تحدثه من تغييرات في هذا المجتمع، بكل مؤسساته؛ وأبرز شيء على هذا التغيير هو حالة القلق والتوتر الجماهيري التي سادت [في] المنطقة العربية، فأحدثت أثراً مباشراً على اتجاهاتها السياسية، وروابطها القطرية، وعلاقاتها الدولية»(٢٤).

وقد تجمّعت عوامل عدة وراء التمترس خلف الاستقلالية الفلسطينية، لعل من أهمّها سلبية غالبية الانظمة العربية، ودأبها المستمر على عزل شعوبها عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية، ومواجهة المبادرات الجماهيرية للتضامن مع الشعب الفلسطيني وحقوقه بالحصار والقمع؛ كذلك عدم امكان المقاومة الفلسطينية بالتفاعل مع الجماهير والحركات الشعبية العربية في ظل انشغالها بخوض أشرس معركة تخوضها مع الأنظمة القطرية وهي معركة الاستقلال والحفاظ عليه. ولقد أدّى الغزو الاسرائيلي للبنان الى مزيد من التشبّث الفلسطيني بالاستقلالية؛ ودفعت دوّامات الصدامات المتوالية مع بعض الانظمة العربية الى عدم مدّ البصر ناحية الجماهير ومبادراتها الشعبية، سواء عفوية كانت أم منظمة. وقد استمر ذلك الحال حتى الغزو الاسرائيلي للبنان، في حزيران (يونيو) ١٩٨٢، والذي كشف عن ضعف المواقف العربية، وسلبيتها، وأبرز بعض جوانب القصور في الشعار الذي سبق ان رفعته منظمة التحرير والمجالس الوطنية في دوراتها، فيما بعد أزمة الاردن، وهو شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية في مقابل التمسّك باستقلالية العمل الفلسطيني(٢٥).

ظلت العلاقة غير محدّدة بين مفهوم المقاومة الفلسطينية للعلاقة مع الانظمة العربية، وكيفية النفاذ الى الجماهير والقوى الشعبية العربية. وقد دفعت الصدامات المتوالية بين المقاومة وأنظمة دول الطوق، من جانب، وتذبذب العلاقات مع عدد من الدول العربية الاخرى المحيطة، من جانب آخر، الى ان يتحوّل شعار المنظمة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية من شعار مرحلي الى خط استراتيجي فرض قيوداً، في كثير من الاحيان، على حرية الثورة وقدرتها على العمل بين الجماهير(٢٦)، بالنظر الى ان هذه الانظمة كانت تعتبر أي اتصال بالجماهير بمثابة تدخل في شؤونها الداخلية. بل ان الشعار عينه أتاح الفرصة لهذه الانظمة لاتخاذ مواقف منفردة تمسّ القضية الفلسطينية، وتؤثر في مسيرتها النضالية.